



بعد المقدمات السابقة أدخل في صلب الموضوع ولبيه: ما هي مآخذنا على جبهة النصرة وما الذي نطلب منها؟ لن نشغل بالفروع والصغار التي يُتوقع صدورها عن أي فصيل، يكفي أن نركز على المسائل الكبرى، وسوف أعرض واحدة منها في كل حلقة من هذه المقالات.

أول ما نطلب من جبهة النصرة هو أن تكف عن تكثير الأعيان – أفراداً وهيئات وفصائل وجماعات – وأن تترك هذا المنهج في التكثير فإنه مدمر للجهاد، وهو المدخل الذي دخلت منه داعش أول مرة، وما سار في هذا الطريق أحد إلا انتهى إلى ما انتهت داعش إليه لا محالة.

لقد سمعنا الحكم بتكفير هيئات ثورية في كلام صريح واضح لأمير النصرة الذي كفر الائتلاف وكفر هيئة الأركان، وما نزال نسمعه من كثير من عناصرها الذين يكفرون فصائل كاملة من الجيش الحر، بل ومن الفصائل الإسلامية الأخرى (رغم كراهيتي لهذا التفريق بين المجاهدين وعدم موافقتي عليه) والحجّة التي يحتج المكفرون بها دائماً هي الاتصال بالدول وتلقي الدعم منها، أو القبول بدولة القانون والمؤسسات والانتخابات والبرلمانات.

وكلا الأمرين مردود، فإن الاتصال بالكافر لا يكفر إلا إذا كان على سبيل الموالاة، أما الاتصال لتحقيق مكاسب للثورة أو دفع مضار محتملة عليها فإنه من السياسة الشرعية المطلوبة، ويدخل في هذا الباب تلقي الدعم اللازم لإسقاط النظام، ما لم تترتب على تلقيه مفسدة أكبر من مفسدة انتصار النظام... ولا أدرى كيف يمكن أن توجد مفسدة أكبر من انتصار وبقاء النظام.

أما دولة القانون والمؤسسات فإنها النقيض لدولة الحزب الواحد والحكم الشمولي والظلم والفساد والاستبداد وليس تقيضاً لدولة الإسلام. وما البرلمانات والانتخابات التي ينكرنها بالمطلق إلا أدلة من أدوات الحكم، والأدوات ليس لها دين، فهي لا تكون مسلمة أو كافرة ولا تكون صالحة أو فاسدة إلا بما ينتج عنها من آثار.

إن البرلمانات التي تساوي بين إرادة الخالق والمخلوق أو تقدم رأي العباد على رأي الشارع هي مؤسسات كفرية بالتأكيد، ولكن ليس هذا مما يلزمها حتماً في كل حال، بل يمكن أن تُضبط بضوابط دستوري أعلى يمنع تجاوز الشريعة وتعطيل

الفرائض وإباحة المحرمات، وعندئذ لن يكون "النظام البرلماني" عدواً على الشريعة، بل سيكون فقط نظاماً سياسياً يوفر الحماية من الطغيان والاستبداد، ومن رفضه وحاربه فإنه يدعم - شرعاً - بقاء وهيمنة الطغيان والاستبداد.

إن التكبير بابٌ شرٌّ كبير فتحته جبهة النصرة على الثورة وعلى الجهاد الشامي، حتى صار تكبير كثير من الفصائل كلمة دائرةً على السنة عناصرها بلا أدنى رهبة ولا تردد. لقد كان شيخ المجاهدين في العصر الأخير، الشيخ عبد الله عزام رحمة الله، كان خصماً عنيداً لهذا المنهج، وبلغ من صرامته في تطبيقه أنه كان يطرد كل من يجرئ على التكبير ويمنعه من المشاركة في معسكراته الجهادية، وعلى هذا النهج سار القائد خطاب، فمن أولى بالاقتداء: هؤلاء الأعلام الذين شهدت لهم الأمة، أم الدواعش الذين صار التكبير واستحلالُ الدم عندهم أهونَ من شرب الماء؟

إن الفيصل الحقيقي بيننا وبين داعش هو استسهال التكبير وتوزيع تهمة الردة والصحوات على الأفراد والجماعات، فمن تابعهم في هذا المنهج فهو منهم ولو اختلفت الأسماء والربايات.

الزلزال السوري

المصادر: